

الإتحاد العالمى لعلماء المسلمين
مؤتمر سمات الخطاب الإسلامى

٢٧-٢٨ شعبان ١٤٣٢، ٢٨-٢٩ يوليو ٢٠١١

فندق جراند حياة - القاهرة

محور: الإسلام والآخر

أ.د. زينب عبد العزيز

عضو مجلس الأمناء بالإتحاد

الإسلام والآخر

تمهيد:

لم يعد محور "الإسلام والآخر" بحاجة إلى مزيد من التناول، فما تمت كتابته في هذا المجال أكثر من كافٍ لتوضيح موقف الإسلام من غير المسلمين، وسماحة الإسلام باتت من المسلمات التي تتعدى النقاش والجدل بدليل الواقع المعاش.. فلو اعتبرنا الآخر، هنا، هو كافة الديانات والعقائد الأخرى، لرأينا إن اكبرها عددا هم أتباع المسيحية بكل ما تتضمنه من فرق منشقة وصل عدد كنائسها المستقلة الى ٣٤٩ كنيسة تقريبا. بل وتكفي الإشارة الى تزايد وجود أتباع المسيحية على الصعيد العالمي لنذكر مدى سماحة الإسلام، الذي أنزله المولى عز وجل في مطلع القرن السابع الميلادي، مصوباً ومكملاً، بعد أن تم تحريف الرسالتين السابقتين لعقيدة التوحيد وهما اليهودية والمسيحية.

فالثابت بالأبحاث العلمية والتاريخية واللغوية وبنص القرآن الكريم، ان اليهود قد حرّفوا رسالة التوحيد بالله التي انزلها سبحانه وتعالى على النبي موسى، عليه السلام، وعادوا لعبادة العجل وقتل الأنبياء.. فأرسل رب العالمين النبي عيسى بن مريم، عليه السلام، الى الضالين من بني جلدته من اليهود ليعود بهم الى رسالة التوحيد بالله، وهو القائل: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٥: ٢٤). وكان قبل ذلك قد قال نفس التوضيح إلى حواريه الإثنى عشر حين أوصاهم قائلاً: "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٠: ٥-٦). وهذه الجملة الأخيرة، بخلاف أنها تحدد رسالة يسوع وحوارييه بأنها تقتصر على عودة الضالين من اليهود الى التوحيد والسرائط المستقيم، فهي تكشف أيضا أن عيسى عليه السلام قد حذّرهم من الذهاب الى الأمم والمدن الأخرى، أى أن رسالته قاصرة على الضالين من قومه. وهو ما يتعارض مع ما تقوم به حاليا المؤسسة الكنسية على الصعيد العالمي من عمليات تبشير وتصوير، بإصرار غريب، إذ لم تترك مجالاً إلا وتوغلت فيه لاستخدامه في عملياتها التصويرية..

وحينما حاد أتباع عيسى عليه السلام عن رسالة التوحيد من بعده، وأشركوا بالله عز وجل، وقاموا بتأليه عيسى النبي وجعلوه ابن الله ثم الله نفسه وبات اسمه "الرب يسوع المسيح" وساووه بل ودمجوه برب العزة، واختلقوا المسيحية الحالية وبدعة الثالوث، أتى سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، مصوباً وخاتماً لرسالة التوحيد، وكاشفاً لما تم في الرسالتين السابقتين من تحريف وشرك بالله. وهو الثابت في نصوص اليهودية

والمسيحية الى اليوم، رغم كل ما تم بها من تحريف وتغيير وتبديل، وهو الثابت في قرآنا الكريم الذي لم يتغير منه حرفا واحدا، فقد وعد ربنا سبحانه وتعالى بحفظه الى يوم الدين.

تصويب صياغة المحور:

ونظرا لكل ما تعانیه الشعوب الإسلامية من إضطهاد متفاوت الحدة والوضوح، منذ أن بدأ الإسلام ينتشر وحتى يومنا هذا، وتم وصمه بالإرهاب بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ونظرا لكل ما تم تقديمه من تنازلات للمؤسسة الكنسية، خاصة فى السنوات الأخيرة، فى مختلف الأقطار المسلمة، سواء جهلا أو عن عمد، أو حتى خضوعا للضغوط السياسية التى باتت تمارس بجبروت وفى العلن فى كثير من الأحيان، فقد رأيت ضرورة تصويب صياغة المحور ليتمشى مع الواقع المعاش، مع كل تقديري لمن صاغوه، ليصبح العنوان الذى سأتناوله هو: "الآخر والإسلام".. وليس "الإسلام والآخر"، فالإسلام والمسلمون هم المعتدى عليهم بكل إصرار و صلف، إعتماذا على تلال من الأكاذيب والتلاعب بالعبارات لصياغة قرارات ظالمة مجحفة.. والإسلام هو المطلوب إقتلاعه أو على الأقل تحريفه وتقليصه إلى مجرد المظاهر العبادية فحسب، وكلها قرارات معلنة بوضوح لا موارد فيها، بل لقد تمت مناقشة العديد من المنظمات الدولية والعالمية لتبنى تنفيذ هذه القرارات بالتدخل السافر فى الشؤون الداخلية للبلدان الإسلامية!

حقيقة عبارة "الآخر والإسلام":

لا يسع المجال، فى مثل هذا الحيز المحدود، بتناول قصة معاداة المؤسسة الكنسية للإسلام منذ بدأ إنتشاره حتى يومنا هذا، وكيف كانوا يعتبرونه مجرد هرطقة من الهرطقات التى إعترت طريق تحريف المسيحية وتأليه السيد المسيح. وهو ما تناوله يوحنا الدمشقي، فى القرن الثامن الميلادي، فى كتابه المعنون "نبع المعرفة" حيث ضمنه قصة مائة وواحد هرطقة، يمثل الإسلام فيه آخر الهرطقات آنذاك حيث انه يحمل عنوان الهرطقة رقم مائة وواحد! كما لا يسع المجال لسرد كم التحالفات التى تمت بين شعوب ومؤسسات مسيحية، تتناحر فيما بينها، لكنها تتآلف وتتكاتف لتتمكن من صد إنتشار الإسلام خاصة فى أوروبا، ومنها الحروب الصليبية وحرب الإسترداد فى إسبانيا ومعركة ليبانت فى اليونان سنة ١٥٧١ حينما تحالفت الأساطيل البحرية لعدة بلدان مسيحية لصد المد الإسلامى، وغيرها كثير..

لكنى سأوقف عند المجمع المسكونى الفاتيكاني الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) ويختصرونه: "مجمع فاتيكاني ٢ " أو "المجمع الفاتيكاني الثانى". وذلك لأنه يمثل نقطة فارقة فى التاريخ الكنسي برمته، ويعد أول مجمع هجومى فى التاريخ حتى على أتباع المسيحية، إذ أنه خرج خروجا سافرا عن نصوص الكتاب المقدس بغية

تنفيذ مآرب سياسية بعينها.. أما كافة المجامع السابقة فكانت بمثابة مجامع تليفقيه، بمعنى أنها كانت تجتمع لصد ما يعترى طريقها من معارك وإعتراضات داخلية فيما بينها.. أما هذا المجمع الفاتيكانى الثانى فإنه الركيزة الأساسية التى تعتمد عليها كافة المحاولات الحديثة التى إنبتقت لمحاربة الإسلام والمسلمين بشتى الوسائل منذ سنة ١٩٦٥. فأول مرة فى التاريخ تُصدر المؤسسة الكنسية قرارا صريحا واضحا ومعلنا بأنها قررت تنصير العالم، وبالتالي إقتلاع الإسلام والمسلمين، موضحة أن هذا القرار مجمعى أى عالمي ولا رجعة فيه..

مجمع الفاتيكان الثانى:

لقد أصدر هذا المجمع ستة عشرة وثيقة مختلفة الطول والمضمون، يمكن تلخيص قراراتها الأساسية إجمالاً بما يلي:

- ١- تبرئة اليهود من دم المسيح، رغم مخالفة ذلك للعقيدة وللنصوص الإنجيلية الشديدة الوضوح.
- ٢ - اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات (من القرن الماضى). حتى لا تبقى أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية. وقد تم ذلك بالتواطؤ بين الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف كعميل من الداخل.. وما أكثر ما كتب عن تفاصيل اختلاق حزب "تضامن" فى بولندا، واختلاق "العام المريمى" لتأجيج مناخ ديني مفتعل، أو كل ما تم صرفه من مبالغ أهدرت لتنفيذ هذه المخططات..
- ٣- اقتلاع الإسلام حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم.
- ٤ - توصيل الإنجيل لكافة البشر.. وهي الصيغة المدغمة التى تم إعلانها آنذاك، ثم قام البابا السابق يوحنا بولس الثانى سنة ١٩٨٢ بتوضيحها فى خطاب رسمى معلنا ضرورة تنصير العالم، مشيراً إلى أن ذلك قرار لا رجعة فيه.. (لأنه قرار مجمع مسكونى)!
- ٥ - توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، وإنشاء لجنة خاصة بذلك، رغم الخلافات العقائدية الجذرية بينها. وعندما لم يتم ذلك القرار، راح يوحنا بولس الثانى يحثهم قائلاً: "إن هذه هى الوسيلة الوحيدة للتصدى للمد الإسلامى" (وارد فى كتاب: الجغرافيا السياسية للفاتيكان)
- ٦ - فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والمدنيين، وهي أول مرة فى التاريخ تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات مكتوبة ومعلنة متعلقة بالمدنيين الذين لا يندرجون فى الهيكل الكنسى.

٧ - استخدام الكنائس المحلية في عمليات التبشير، الأمر الذي يضع الأقليات المسيحية في موقف عدم الأمانة أو الخيانة للبلد الذي يعيشون فيه أى للأغلبية المسلمة.

٨ - فرض بدعة " الحوار " كوسيلة للتبشير وكسب الوقت حتى يتم التنصير بلا مقاومة..

٩ - إنشاء لجنة للحوار برئاسة الكاردينال أرنزي

١٠ - إنشاء لجنة خاصة بتنصير العالم برئاسة الكاردينال جوزيف طومكو. وقد قام أعضاء اللجنتين بإصدار وثيقة مشتركة في ١٩٩١/٦/٢٠ بعنوان: "حوار وبشارة" تتضمن التوجيهات اللازمة لعملية التنصير الدائرة منذ ذلك الوقت في تصعيد متواصل..

١١ - ومن أهم ما أقره هذا المجمع وأغربه إقرار الفاتيكان أن الأنجيل ليست منزلة من عند الله وان من كتبها هم بشر، إلا ان الإختلافات التي فيها أو بينها ليست متناقضات وإنما هي "من قبيل التعددية في التعبير"، ورغمما يفرضونها على أنها منزلة!

وثيقة "في زماننا هذا":

تعد وثيقة "في زماننا هذا" من أهم وثائق مجمع الفاتيكان الثاني إذ انها تتضمن موقف الفاتيكان من غير المسيحيين.. وهي الوثيقة التي برأ فيها ذلك المجمع اليهود من دم المسيح، رغم كل ما في هذا القرار من مخالفة صريحة لعشرات الجمل التي لا تزال في الأنجيل والتي تتهم اليهود بقتل المسيح! أما القرار المتعلق بالمسلمين فهو يتكون من سبعة عشر سطرا يقول نصها:

الديانة الإسلامية:

٣ - "إن الكنيسة تنظر أيضا بعين الإعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد، الحى القيوم، الرحمن القدير، خالق السماء والأرض، الذي تحدث إلى البشر. إنهم يحاولون الخضوع بكل قواهم لقرارات الله، حتى وإن كانت مخفية، مثلما خضع إبراهيم لله والذي يتخذه الإيمان الإسلامي طواعية مثلاً له. وعلى الرغم من أنهم لا يعترفون بيسوع كإله، فهم يبجلونه كنبي؛ ويوقرون أمه مريم العذراء، وأحياناً يتوسلون إليها بتضرع. كما أنهم ينتظرون يوم الحساب، الذي سيجازى فيه الله البشر بعد بعثهم، وهم يقدرّون الأخلاق، ويقدمون عبادة ما لله، خاصةً بالصلاة، والزكاة والصوم.

"وإذا ما كان عبر القرون قد اندلع العديد من الخلافات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يهيب بهم جميعا نسيان الماضي وأن يجتهدوا بإخلاص فى محاولة لفهم المتبادل، وأن يقوموا معا بحماية ونشر العدل الإجتماعى، والقيم الأخلاقية، والسلام والحرية، من أجل كافة البشر" (صفحة ٢٩)

ولو تأملنا النص عن قرب وكل ما به من تلاعب بشئ من التحليل لرأينا ما يلي:

* أن كلمة "إسلام" غير واردة بهذا النص.

* أن الكنيسة "تنظر أيضا بعين الإعتبار" إلى المسلمين، فلا تشير إليهم على أنهم أتباع الرسالة التوحيدية الثالثة، التى أنزلها المولى تصويبا لما تم من تحريف فى الرسالتين السابقتين وختاما لرسالة التوحيد، وإنما تنظر إليهم الكنيسة فحسب بعين الاعتبار!

* أن الإله الذى يعبده المسلمون "قد تحدث إلى البشر"، أى أنه لم يتحدث تحديدا إلى سيدنا محمد مثلما تحدث إلى موسى أو عيسى عليهما السلام!

* الإصرار المتعمد على إستبعاد نسب المسلمين لسيدنا إسماعيل. الأمر الذى ترتبت عليه أحداث سياسية فادحة فى حق الفلسطينيين..

* أن "الإيمان الإسلامى" يتخذ سيدنا إبراهيم كنموذج، يتخذه مجرد مثال ولا ينتسب إليه! فأهم إنعكاس لذلك التعبير، غير الأمين، أنه يستبعد إنتساب الفلسطينيين إلى أرضهم، بما أنهم كمسلمين لا ينتسبون الى سيدنا إبراهيم، وان الإسلام لا علاقة له بهذه المنطقة، بعد ان وضعه هؤلاء المحرّفون، فى هذه الوثيقة، ضمن الديانات الأسيوية لإستبعاده تماما عن كل المنطقة التى نزل بها الوحي!!

* الإصرار على إستبعاد الإسلام من النص الإنجيلى رغم كل الإشارات التى لا تزال فى الكتاب المقدس بعهديه، رغم كل ما أصابه من تعديل وتغيير، بل وكل ما تم فيه من تحريف متعمد..

* ان عملية التزوير التاريخية التى تمت فى هذه الوثيقة ووضع الإسلام بين الديانات الكبرى الأسيوية، التى تولدت بعيدا عن المسيحية، عبارة عن مغالطة متعددة الأهداف أهمها ان الإسلام لم يأت كاشفا ومصوبا لما تم من تحريف فى الرسالتين السابقتين، وخاصة إستبعاد المسلمين الفلسطينيين من هذه المنطقة أساسا، وبالتالي لا يكون لهم اى حق فى أرضهم المنتزعة قهرا لتستمر عملية الإحتلال الصهيونى بلا حرج أو بلا سند تاريخى لصالح الفلسطينيين!!

* التأكيد على ضرورة نسيان الماضى وكل ما إقترفته الكنيسة فى حق المسلمين من مجازر وإضطهاد لا يزال مستمرا، بدليل الإصرار على تنصير العالم.. ولم تقم الكنيسة بالإعتذار للمسلمين مثلما اعتذرت لليهود عن كل ما تجرعه من إضطهاد عبر القرون، وإنما تطالبنا بالنسيان.. وهو نفس الموقف الذي تبناه البابا بنديكت ١٦ حينما تعمد سب الإسلام والمسلمين فى المحاضرة التى القاها فى جامعة راتسبون سنة ٢٠٠٦، ولم يعتذر، وإنما تأسّف لرد فعل المسلمين وغضبهم..

مجلس الكنائس العالمى:

عندما فشل الغرب المتعصب فى تنصير العالم عشية الألف الثالثة، قام مجلس الكنائس العالمى، فى يناير ٢٠٠١، بإسناد مهمة إقتلاع الإسلام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مع تسمية ذلك العقد (٢٠٠١ - ٢٠١٠) "عقد إقتلاع الشر". وما هى إلا بضعة أشهر حتى اختلقت الإدارة الأمريكية مسرحية "الحادى عشر من سبتمبر" لتتلف بشرعية دولية لتنفيذ مشاريعها الاستعمارية التنصيرية وأهمها ما تطلق عليه الشرق الأوسط الجديد أو الكبير..

ومجلس الكنائس العالمى منظمة تضم ٣٤٩ كنيسة مختلفة، منتشرة فى ١٢٠ بلد وتمثل كافة الاتجاهات المسيحية باختلافاتها العقائدية. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية الفاتيكانية ليست عضوا بالمجلس (لأغراض تنظيمية سياسية..)، إذ أنها تتعاون معه بفاعلية مكثفة بحكم أنها غير مشتركة فيه..

وقد قام مجلس الكنائس العالمى، الذي يعمل بجهود مشتركة مع لجنة تنصير العالم ولجان أخرى بالفاتيكان، بعقد أكبر مؤتمر عالمى للتبشير، من ٩ إلى ١٦ مايو ٢٠٠٥ باليونان، لتوحيد عمليات تنصير العالم بين مختلف الكنائس، وخاصة الكنيسة الإنجيلية والعنصرية والكاثوليكية الرومية. وعلى الرغم من توجيه عمليات التبشير فى ثلاث مجالات أساسية: بلدان الكتلة الشرقية السابقة، والدول المسيحية التى تفشى فيها الإلحاد، والدول الإسلامية وباقى الديانات الأخرى، فإن التركيز على تغيير القرآن وزعزعة الإسلام يحتل الصدارة فى جدول الأعمال. وتتوالى مؤتمرات التبشير المحلية والعالمية بإصرار ودأب، مثلما تتوالى المغالطات والأكاذيب والتعامل بوجهين مع المسئولين المسلمين..

ومن أهم القرارات التى أسفر عنها ذلك المؤتمر الذي يتوسط "عقد اقتلاع الشر"، البنود التالية:

تفادى أية صراعات أو منافسة بين الكنائس المختلفة أثناء عمليات التبشير ؛ الإصرار على أن "رسالة الله" التى تفرضها الكنائس موجهة لكافة البشر ؛ أنه يقع على الكنيسة توجيه الناس إلى التوبة ليدخلوا حياة جديدة

بيسوع المسيح ؛ إن الكنيسة بأسرها مطالبة بتوصيل الإنجيل للعالم أجمع ؛ أنه لابد من غرس كنائس المسيح فى الثقافات المحلية لتسهيل تنمية الإيمان المسيحى ؛ دراسة كيفية التغلب على الوجود المتزايد للديانات الأخرى و خاصة الإسلام ، فى كل من أوروبا وأمريكا الشمالية ، لأنه يمثل تحديا حقيقيا لنشاطات المبشرين..

أهم المؤتمرات التبشيرية السابقة:

من أهم ما تمخضت عنه التيارات المتتالية الناجمة عن أزمة الأصولية والحدثة، التى اعترت المؤسسة الكنسية فى مطلع القرن العشرين والتي كادت تطيح بالكيان الكنسى برمته، إثارة قضيتين بصورة قاطعة: الإطاحة بمصادقية النصوص الإنجيلية ومحتواها العلمى أو المعرفى؛ وإثبات صياغاتها المختلفة عبر الزمان أى أنها ليست منزلة على الإطلاق.. وهو ما يعنى تفنيدها شكلا وموضوعا! لذلك انطلق ذلك الكيان الكنسى بكل جبروت ليفرض المسيحية على العالم والإصرار على تنصيره، على أن ذلك هو المخرج الوحيد له بعد أن تهدمت مصادقية نصوصه خاصة بعد معركة الأصولية والحدثة..

ومن أهم مؤتمرات التنصير التى انعقدت على الصعيد العالمى: مؤتمر: "لوزان ١" بسويسرا سنة ١٩٧٤، لتدارس كيفية تنفيذ قرارات مجمع الفاتيكان الثانى، وجميعها تشير الى ضرورة تنصير العالم.. مؤتمر "كولورادو" بالولايات المتحدة سنة ١٩٧٨، لتدارس كيفية تطبيق ما تمخض عنه المؤتمر السابق فى مدينة لوزان.. ثم "لوزان ٢" فى مدينة مانيللا بالفلبين سنة ١٩٨٩ بمشاركة ٣٠٠٠ قياىدى تبشيريى تجمعوا من ١٧٠ بلد من جميع انحاء العالم.. وتتوالى المؤتمرات حتى العام القادم، سنة ٢٠١٢، بإقامة سينودس للتنصير الجديد وتنصير العالم..

البابا بنديكت السادس عشر:

ومن ناحية أخرى فإن البابا بنديكت ١٦، الذى كان قد أعلن رسميا تأييده وإنضمامه للنظام العالمى الجديد، لا يكف عن المحاولات المستميتة من أجل تنصير العالم بشتى الوسائل حتى السياسية منها. فحينما كان فى زيارته للولايات المتحدة ، من ١٥ إلى ٢٠ إبريل ٢٠٠٨ ، ألقى أحد عشر خطابا تصرّ على الإشارة إلى الإرهاب الإسلامى ، وأخص بالذكر ثلاثة منها : البيان المشترك الذى القاه مع جورج بوش يوم ١٦ إبريل ، وخطابه يوم ١٧ أمام ممثلى الأديان المختلفة ، ثم الخطاب الذى ألقاه يوم ١٨ فى هيئة الأمم المتحدة ، حيث طالب هذه الهيئة الدولية ، غير المحايدة ، بالتدخل من أجل حماية الأقليات المسيحية فى العالم موضحا : "إذا كانت الدول غير قادرة على ضمان مثل هذه الحماية فإن المجتمع الدولى يجب عليه أن يتدخل بالوسائل

القانونية الواردة في ميثاق هيئة الأمم المتحدة وفي نصوص أخرى من القانون الدولي!" مكررا هذه العبارة أكثر من مرة.

ولم تتوقف محاولاته عند ذلك الحد وإنما أعلن، يوم الإثنين ٢٨ يونيو ٢٠١٠ ، عن إنشاء لجنة بابوية جديدة لتنصير البلدان ذات الجذور المسيحية بعنوان "المجلس البابوي للتبشير الجديد"، بعد أن كان قد أعلن أن اسمها "المجلس البابوي لتبشير أوروبا"، لكنه غير الاسم تفاديا للانتقادات ، موضحا ان ذلك المجلس يهدف الى : "نشر التبشير الجديد فى البلدان التى تم تنصيرها سابقا ، وبها كنائس قديمة، لكنها تباعدت وتعيش علمنة متزايدة بحيث ان إختفاء معنى وجود الله بات يمثل تحديا لا بد من مواجهته بشتى الوسائل لإعادة نشر الحقيقة الخالدة لإنجيل المسيح" .. وفى يومى ٢٤ و ٢٥ مارس ٢٠١١ إبتدع وسيلة للدمج بين الحوار والتبشير "دون أن يبدو على أنه عملية تبشير"، على حد قوله، وذلك بعمل منتدى للحوار بين المؤمنين وغير المؤمنين فى فناء كاتدرائية نوتر دام فى باريس، وهي الاحتفالية التي شارك فيها كل من اليونسكو والمعهد العلمى القومى الفرنسى وجامعة السوربون، ومنها جلسات بدعوات خاصة لكبار المسئولين وطلبة الدكتوراة. وهو ما يكشف عن مدى نفوذ بابا الفاتيكان ومؤسساته فى المجتمعات الغربية وخاصة فرنسا، مدعية العلمانية، لكنها تتضامن معه بأهم مؤسساتها فى محاولة إقتلاع الإسلام..

وبنديكت ١٦ هو القائل بأنه يتعين على المسلمين القيام بما قامت به المؤسسة الفاتيكانية من تعديل وتبديل فى النصوص، بناء على ما فرضه عليها عصر التنوير، وأنه يتعين على المسلمين حذف كل ما يحمله القرآن من إتهامات إلهية لمن حادوا عن رسالة التوحيد وعمل تفسير جديد للقرآن يتمشى مع مطالب الغرب ومؤسسته الصليبية! والكاردينال توران، رئيس لجنة الحوار، هو القائل بأنه لا يمكن التحوار مع المسلمين طالما يصرون على أن القرآن كلام الله!

وقد أعلن بنديكت عن إقامة الصلاة الجماعية بين أتباع كافة الديانات والعقائد فى بلدة أسيز، فى إيطاليا، فى أكتوبر ٢٠١١، أى بعد ثلاثة أشهر، إحياء لذكرى مرور عشرون عاما على هذه البدعة المقصود منها التعود على كسر الحواجز بين الديانات والعقائد المختلفة تسهيلا لعملية التنصير، كما أعلن عن إقامة سينودس خاص بالتنصير الجديد فى أكتوبر ٢٠١٢، وقد بدأت لجان الأساقفة الإعداد له.

تنازلات المسلمين:

يؤلمنى بل ويخجلنى أن أقوم بالإشارة إلى عدة نماذج مما قدمه بعض المسلمين من تنازلات فى حق دينهم، رضوخا أو مرضاة للمؤسسة الكنسية، جهلا أو عن عمد، إلا ان ما وصلت إليه الأوضاع حاليا بحاجة إلى وقفة صارمة دفاعا عن الدين..

فالأزهر، الذى يمثل فى مصر وفى العالم الإسلامى، أكبر و أعرق رمز للإسلام، فرّط فى حق الإسلام وفى حق نبيه عليه الصلاة والسلام ، بقبوله إلغاء مادة الدين من التعليم كمادة أساسية للنجاح والسقوط ؛ وقبوله "تعديل" المناهج الدينية وتغيير الآيات فى المناهج الدراسية بدلا من شرح وتفسير أسباب نزولها ؛ وإسناد المعاهد الأزهرية إلى التربية والتعليم أو تحويلها إلى مرافق أخرى ؛ و"تعديل" الخطاب الدينى والمساس بثوابته ؛ وإغلاق المساجد بين الصلوات ؛ وتضييق نطاق بناء المساجد ؛ و تحويل ما لم تُقم فيه الشعائر بعد إلى مرافق أخرى، بل وهدم ما تم بنائه قبل إستخراج تصاريح البناء ؛ - وهنا لا يسعنى إلا أن أسأل : هل يمكن لنفس هؤلاء المسؤولين والوزراء القيام بمثل هذا التصرف حيال الكنائس التى فاق عددها نسبة أتباعها مقارنة بقلة عدد المساجد بالنسبة للمسلمين؟! فما أكثر ما تم بناؤه من كنائس بلا تراخيص، بل ما أكثر الأراضى التى أخذت بوضع اليد ولم يتحرك أحد، وما أكثر الكنائس التى تضخّم حجمها فى مكانها الى درجة الإنبعاج الفظ معماريا أو تلك المنازل التى تحوّلت الى كنائس بوضع قباب تعلوها الصليبان على اسطحها!

ولقد خرج العاملون بالأزهر عن تعاليم دينهم ووصايا الرسول عليه الصلاة والسلام بالتهاون فى مسألة الحجاب فى فرنسا ؛ وبتسليم وفاء قسطنطين بدلا من حمايتها ؛ كما غضوا الطرف عن الدفاع عن الإسلام وعن نبيه الكريم فى مهزلة مسرحية كنيسة الإسكندرية بإحالتها إلى عالم الصمت والنسيان ؛ والصمت أيضا حينما أهانت السلطات القمعية الأمريكية المصحف الشريف فى جواننتامو وغيرها ؛ وخاصة ذلك الصمت الغريب حينما تم إعلان عيد ميلاد "ربنا يسوع" عطلة رسمية فى الدولة، الدولة ذات الأغلبية المسلمة، وكان من الأكرم لهم أن يوضحوا ما بهذا الإجراء من مساس بعقيدة المسلمين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة فى مصر وكيف أن مثل هذه الإجراءات تخرج عن حدود التسامح لتسهم او لتمهد الطريق لعمليات التنصير الدائرة !

والأدهى من هذا وذاك، وغيره جد كثير بكل أسف، هو التوقيع، فى ١٨ إبريل ٢٠٠٥، على إتفاقية بين الأزهر والفاتيكان والكنيسة الأنجليكانية بالموافقة على أن يقوم المبشرون بالتبشير فى مصر دون أن يتعرض لهم أى عائق..

كما أشير خاصة إلى تلك الوثيقة التي بدأ بالتوقيع عليها، جهلاً أو عن عمد، ١٣٨ من كبار العلماء والفقهاء المسلمين في أكتوبر ٢٠٠٧، ثم تزايد عدد الموقعين، وهي بعنوان "تعالوا إلى كلمة سواء"، التي يقر فيها الموقعون أننا، مسلمون ومسيحيون، نعبد نفس الإله!! وهنا لا يسعني إلا أن أسأل كل من قاموا بالتوقيع على ذلك الخطاب المهين: هل نسيتم أن صفة الإله في الإسلام ليست الوحدانية فقط وإنما هو "أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؟" بينما الإله عند النصارى هو: "ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الذي تجسد بشراً ليخلص الإنسانية، وصلب ودُفن ونزل الجحيم وبُعث وصعد إلى السماء ليجلس عن يمين الأب، الذي هو نفسه، بما أن الأب والإبن والروح القدس إله واحد"!

وفي نفس هذه السلسلة المموجة من التنازلات، صدرت الأوامر الخاصة بتجفيف الإسلام من المنبع، إلى كل البلدان الإسلامية.. كما صدرت إلى مجمع الملك فهد بتقليل طباعة المصاحف سنوياً، وبذلك سيأتي اليوم الذي لا نجد في متناول اليد سوى "الفرقان الحق" – تلك البدعة المهينة التي ابتدعتها الأيادي العابثة في الإدارة الأمريكية وتقوم بتوزيعها على بلدان العالم الإسلامي والعربي على أنه القرآن المنقح! ولا أقول شيئاً عن الفضائيات والبرامج التي تسبب الإسلام ونبيه الكريم ولا نرد أو نشرح الحقائق بل ولا يُسمح بذلك إلا على إستحياء أو على مضض ذرا للرماد في الأعين!

فكيف بعد كل هذه التنازلات نتحاور مع هؤلاء القوم ونستجيب لمطالبهم بدلاً من وقف مهزلة التنازلات، وبدلاً من المطالبة بوقف هستيريا تنصير العالم، وبدلاً من تجميد العلاقات مع ذلك الغرب الصليبي المتعصب إلى أن يتم تصويب وتغيير كل هذه المهازل؟! وتكفي الإشارة هنا إلى فساد ذلك الحوار، وإلى أن لجنة الحوار الفاتيكانية قد فرضت في أول جلسة لها مع لجنة الأزهر وأخذت توقيعها على أنه "لا نقاش في العقيدة"، فما جدوى الحوار إذن والخلاف بيننا في العقيدة!؟

الخاتمة:

إن موقف الآخر من الإسلام والمسلمين، والهجمة الشرسة على الإسلام باتت من الوضوح والصراحة المعلنة بحيث إن الرد عليها لا بد وأن يكون حاسماً قاطعاً لا تهاون فيه. ولقد استعرضت في عجالة أهم المحاور التي تثبت أن عملية تنصير العالم وإقتلاع الإسلام هي قرار لا رجعة فيه بالنسبة للمؤسسة الكنسية، وأن كل الوثائق لديهم تُصاغ بهدف تنفيذ ما قرروه سنة ١٩٦٥ لتنصير العالم.. لذلك أناشد الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وكافة المؤسسات والهيئات الإسلامية، أن تتكاتف للدفاع عن الإسلام وإتخاذ التدابير اللازمة لرفض ذلك القرار الخاص باقتلاع الإسلام والمسلمين الصادر عن مجمع الفاتيكان الثاني في وثيقة "في

زماننا هذا"، تلك الوثيقة التي بُنيت عليها أهم قضيتين منفصلتين متكاملتين: تنصير العالم، من جهة؛ وإقتلاع الجذور التاريخية الدينية لشعب فلسطين، من جهة أخرى..

ففي القضية الأولى: لا بد من التصدي بكافة الوسائل لعملية تنصير العالم وإقتلاع الإسلام، التي تقوم بها المؤسسة الفاتيكانية لفرض ديانة تم نسجها عبر المجامع على مر القرون، أي أنها أبعد ما تكون عن التنزيل الإلهي. وعلى أولئك المحرّفون فهم أن الإسلام قد أنزله المولى عز وجل بعد أن حاد اليهود والنصارى عن رسالة التوحيد بالله، ولا يحق لهم إقتلاعه بحجة حماية كل ما قاموا به من تحريف وتزوير وحماية لكيانهم!

وفي القضية الثانية: تم فيها إستبعاد الإسلام من مكان الرسائل التوحيدية والزج به بين الديانات الأسبوية، بهدف إستبعاد المسلمين وخاصة الفلسطينيين من أرضهم لتقديم أرض بلا شعب لشعب بلا أرض – كما يقولون.. فكل ما أثبتته الأبحاث العلمية والحفائر التي قام بها الصهاينة فى سيناء وفى أرض فلسطين أكدت أن اليهود لا أثر لهم أو لوجودهم بهذه الأرض، وتكفى الإشارة إلى أبحاث كتبها عدد من أمناء الأساتذة اليهود مثل كتاب "كشف النقاب عن الكتاب المقدس" لكل من إسرائيل فنكلشتاين (I. Finkelstein) و نيل سيلبرمان (N. Silberman) وكلاهما بالجامعة العبرية، أو كتاب "كيف تم إختراع الشعب اليهودى" للعالم شلومو ساند (Sh. Sand)، وكثير غيرها ، لندرك أن القضية الفلسطينية قضية سياسية بحتة وليست دينية ، فاليهود ، حتى بأقوال الكتاب المقدس بعهديه ، لا حق لهم فى أرض فلسطين التي اقترفوا فيها كافة أنواع العدوان والمجازر المحرّمة دوليا لإقتلاع شعبها .. لأن وعد هبة الأرض فى النصوص كان مشروطا بالاستقامة، واليهود، بأقوال الكتاب المقدس لم يستقيموا وحادوا عن التوحيد بالرجوع الى عبادة العجل وإلى قتل الأنبياء.. وهو ما ينص عليه أيضا القرآن الكريم.

كما يجب إلغاء ذلك الخطاب المعنون "تعالوا إلى كلمة سواء"، وسحبه من التعامل مع المؤسسة الكنسية بأسرع وقت، فنحن كمسلمين لا نعبد السيد المسيح، الذي تم تأليهه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ولا نعبد الثالوث الذي تم إختلاقه سنة ٣٨١ فى مجمع القسطنطينية، وإنما نحن نعبد الله، الذي ليس كمثله شيء..

وفى نهاية هذا البحث أتوجه بسؤال يتعلق بعملية التنصير، تنصير العالم، وباقتلاع شعب فلسطين، أتوجه به إلى البابا بنديكت ١٦، الذي يقود عملية تنصير العالم بهيستيرية جنونية وبتعصب أكمه:

ما هو مصير اليهود فى عملية تنصير العالم؟ بل ما هو مصير هؤلاء الصهاينة الذين منحتم أرضا ليست من حقهم يقينا، بينما يعاني الشعب الفلسطينى من عملية قتل عرقى مكبله الأصداء، على مرأى ومسمع من العالم

أجمع: هل ستقومون بتنصير اليهود أيضا أم أنهم، لسبب ما فى بطن يعقوب، معافون من الخلاص المسيحي؟!

كما أرجو من الإتحاد العالمى لعلماء المسلمين ومن كافة الهيئات الإسلامية أن تتضامن وتتكاتف لمطالبة البابا بنديكت السادس عشر، رئيس الفاتيكان ورئيس الكرسي الرسولي، بتقديم الاعتذار العلنى الصريح والواضح لكافة المسلمين عن كل ما يلي:

* الإعتذار عن خطأه فى سب الإسلام وسب سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، عمدا متعمدا، فى الخطاب الذى القاه فى جامعة راتسبون، فقد تعمد ذلك بإختيار إستشهاد مغرض، والاستشهاد لا يقفز فى النص الذى يكتبه المؤلف وإنما المؤلف هو الذى يختار الاستشهاد لتدعيم رأيه أو لتقنيد الاستشهاد..

* الإعتذار عن كل ما قامت به المؤسسة الكنسية ضد المسلمين، على مر التاريخ، منذ انتشار الإسلام وحتى يومنا هذا، مثلما اعتذرت لليهود رسميا عن كل ما كآلته لهم من اضطهاد على مر التاريخ..

* الإعتذار عن عملية تنصير العالم التى يقودها بإصرار لاقتلاع الإسلام، والعمل على وقفها، فكل ما تسببت فيه من أضرار لكافة الشعوب، بما فيها أتباع المسيحية الذين فُرض عليهم وعلى كنائسهم المحلية المساهمة فيها، يتطلب وقف مخازى القمع والإجبار لفرض التنصير، حتى وإن كان بزعم المساعدة أو تحت ستارها المتهتك!

* الإعتذار عن الجزء المتعلق بالمسلمين فى وثيقة "فى زماننا هذا" التى ساهم فى صياغتها، فى مجمع الفاتيكان الثانى، وكان يحمل لقب واسم الكاردينال راتزنجر، رئيس لجنة محاكم التفتيش، التى تغير اسمها لتصبح لجنة عقيدة الإيمان، وتصويب كل ما جاء بها من فريات ومغالطات تاريخية ودينية فى حق الإسلام والمسلمين..

* الإعتذار للفلسطينيين عن التسبب فى إقتلاعهم من أرضهم بتحريف الحقائق التاريخية والنصوص، وعن كل ما تكبده من عدوان وتطهير عرقى ونهب لحقوقهم ولثرواتهم، بل ومحاصرة لا تزال تعتصر كياناتهم وبنياتهم، والعمل على إعادتها لهم كاملة وعلى عودة اللاجئين الفلسطينيين، فاليهود يقيناً لا حق لهم فى هذه الأرض التى تم إنتزاعها لأغراض سياسية.

وما لم يتم الإعتذار رسميا عن كل ما تقدم فيجب على المسلمين وقف التعامل مع هذه المؤسسة الصليبية
الرعاية إلى أن تستقيم وتعنى معنى الحق، والعدل، والحرية، والسلام، وإلى أن تدرك أن كل هذه القيم من حق
كافة البشر لكي يعيشوا في أمن ووافق..